صدفة

بقلم: أغاثا كريستي

– أقول لك أنها نفس المرأة.. وليس هناك شك في ذلك..

و تنهد الكابتن هايدوك وهو ينظر إلى وجه صديقه مفتش البوليس المتقاعد ايفانس.. وتمنى لو يكون اضعف إيمانا، واقل فرحاً مما هو عليه الآن..

فقد تعلم في السنوات التي قضاها في البحر أن يترك الأمور التي لا تهمه وشأنها، لا يعرض لها، ولا يفكر فيها..

وأما صديقه ايفانس مفتش البوليس فقد كان على خلافه، ما يبرح موصول العهد بوظيفته، مستغرقاً في البحث عن مشاكل الناس ومتاعبهم، رغم أنه أحيل على التقاعد، ورغم انه قد ترك العاصمة الانكليزية إلى الريف.. حيث استأجر منزلاً ليقضي فيه الباقيات من أيامه..

ومضى ايفانس يقول:

– والواقع إني لا أنسى وجهاً رأيته لأول مرة أبدا.. أنها بالتأكيد المسز انتوني التي عرفتها لأول مرة.. وان كانت قد أصبحت الآن تدعى مسز ميرودن.. ولكني عرفتها حالاً..

وتحرك الكابتن هايدوك في مقعده، فقد كان آل ميرودن جيرانه، ووقوع

صديقه ايفانس على سر مسز ميرودن القديم، قد أحزنه، فضاق صدره ولم يعد يدري ما يقول ولا ما يفعل.. ثم تمالك نفسه وراح يقول بصوت ضعيف:

– ولكنها قصة قديمة..

وقال ايفانس بدقته المعهودة:

– أنها لكذلك.. وقد وقعت الحادثة منذ تسع سنوات وثلاثة أشهر.. ولا بد انك تذكر القضية ؟..

– ليس تماماً..

– لقد ثبت في التحقيق أن المستر انتوني زوجها السابق كان ممن يتعاطون الأرسنيك، ولهذا صار تبرأتها..

فقال الكابتن:

– ولماذا لا يفعلون ؟

– طبعاً.. فقد كان هذا هو الحكم الذي يجب أن يصدر وفاقا للتحقيقات التي قدمت إلى المحكمة..

– إذا كان الأمر كذلك، فلماذا تحاول العودة إلى هذا الموضوع ؟

– إني لا أحاول العودة إلى الماضي.. كل ما في الأمر إني أقرر حقيقة جديدة واقعة..

فقال القبطان:

– لقد انتهى الأمر وصدر الحكم فيه.. وإذا كان من سوء حظ مسز ميرودن ان تتهم بقتل زوجها، في يوم من الأيام، فقد كان من حسن حظها أن تظهر براءتها بعد ذلك.. فليس من شأننا والحالة هذه ان نعود لبحث هذه القضية من جديد .

ولم يقل ايفانس شيئاً.. ومضى القبطان يتابع حديثه:

– تعال يا صديقي.. ألم تقل أن السيدة بريئة بعد الحكم الذي صدر ببرأتها..؟

– أنا لم اقل أنها بريئة، وأنا قلت أن المحكمة قد برأتها !

– لا أجد خلافاً في الأمرين .

– بل أن هناك خلافاً كبيراً..

واهتز القبطان حين سمع جوابه وقال:

– أتعتقد أنها ليست كذلك.. ليست بريئة..؟

– أنا لا أقول هذا.. واعترف باني لا اعرف الحقيقة..

"فقد كان من عادة زوجها انتوني أن يتناول "الارسنيك " أو " الزرنيخ".. وكانت زوجته تأتيه به وتقدمه له.. وفي ذات يوم اخذ منه كمية أكبر مما يجب أن يأخذ.. وليس من يدري من الذي اخطأ.. هو ام هي...

" وكان من اثر هذا الشك ان أعطاها المحلفون الأسباب المخففة.. فبرأتها المحكمة.. ولست اعترض على الحكم طبعاً.. ولكني شديد الرغبة في معرفة الحقيقة.."

عاد القبطان يدخن غليونه وهو يقول:

– ليس هذا من شأننا..

– أنا لست واثقا من ذلك..

– ولكن..

وقال ايفانس: – اسمع يا صديقي.. فان هذا الرجل ميرودن زوجها الجديد، ينصرف في مختبره إلى كثير من التجارب، وبعض هذه التجارب لا تخلو من السم القاتل، وقد سمعته بالتأكيد يتحدث في مثل هذه الموضوعات..

فقال القبطان:

– صحيح لقد سمعته يتحدث عن تجارب " مارتس" في الزرنيخ... وقد قال موجها كلامه إليك، أنك لا بد تعرف شيئا عن هذا الموضوع لأنه متصل بعملك كمفتش بوليس سابق.. ولو أن هناك شكاً يراوده بشأن زوجته لما بحث هذا الموضوع بمثل هذه الصراحة أمامها..

– هذا صحيح.. وقد علمت منك أنهما تزوجا منذ ست سنوات تقريباً، ولهذا فأنا واثق من أنه لا يعرف أنها مسز انتوني صاحبة القضية المشهورة..

– ولن يعرف هذا الخبر مني بالتأكيد..

ولم يعلق ايفانس بكلمة على جواب صديقه ومضى يقول:

– ولا بد انك علمت من حديث المستر ميرودن، انه يقوم بكثير من

التجارب في مختبره، وكذلك نحن رجال البوليس نقوم ببعض التجارب على طريقتنا الخاصة.. فيما يتعلق بالجريمة والأجرام.. ومن هذه التجارب ان القاتل قليلا ما يرضى أو ينام على جريمة واحدة.. أعطه وقتاً.. وظروفاً مناسبة، وعندئذ لا بد أن يقدم على جريمة ثانية..

" هذا هو رأي البوليس في مثل هذه الحالات، وان كان من المفروض ان لا يستقيم هذا الرأي دائماً..!! "

– ولكنها فكرة رهيبة..

فقال ايفانس:

– إلا تزال تقول بعد كل هذا، أن الأمر لا يعنينا..؟

– نعم.. نعم.. وليس من حقك أن تنظر إلى مسز ميردون إلا كامرأة بريئة من تهمة ماضية..

وسكت ايفانس ملياً ليقول:

– والواقع أننا بحثنا ماضيها في أثناء التحقيق، وعثرنا في هذا الماضي على حادثة جديدة.. كانت أمها قد تزوجت بعد وفاة زوجها الأول، وكانت مسز ميرودن الحاضرة، قد علقت شاباً، عارض زوج أمها في تزويجها به، وكانت في الثامنة عشرة من العمر، وفي ذات يوم ذهبت للنزهة مع زوج أمها، وفوق هضبة من الهضاب القريبة من المنزل... زلت قدم الزوج فهوى إلى الوادي ومات..

– أتعتقد أنها..

– لقد اعتبروا الحادثة قضاء وقدر.. وكذلك اعتبروا تسمم المستر أنتوني.. ولتعلم أنه كان هناك رجل يحوم حولها، وقد اختفى هذا الرجل بعد صدور الحكم بالبراءة، ومن يدري فلعله لم يقتنع بالحكم رغم قناعة المحلفين.. وأريد ان أؤكد لك يا " هيدوك " بهذه المناسبة، بأنه ما دامت هذه المرأة حية... فسوف تكثر الصدف... وحوادث القضاء والقدر.. وهز القبطان كتفيه وقال:

لست أدري كيف تستطيع وقف هذه الحوادث التي تمكنت من رأسك..؟

– ولا أنا يا صديقي..

– الأفضل أن لا نتدخل في شؤون الناس.. فإن هذا لن يفيدنا في كثير ولا قليل..

ولكن المستر ايفانس لم يقنع بهذه النصيحة، فقد كان من هؤلاء الرجال الذين لا تطيب لهم حياة الهدوء والجمود.. ولكنه كتم ما في نفسه، وودع صديقه، وذهب إلى القرية يفكر في الطريقة المثلى لوقف الجريمة الجديدة التي كان يتوقعها..

فلما بلغ دار البريد التقى المستر جورج ميرودن، الأستاذ السابق للكيمياء، وكان هذا قصير القامة، لطيفاً مهذباً، كثير النسيان، يعيش في عالم آخر بعيد كل البعد عن عالم الناس الآخرين..

وتوقف الأستاذ عند رؤية المفتش إيفانس الذي كان يعرفه، وحني رأسه يلتقط الرسائل التي وقعت من يده أرضاً، ووقف ايفانس بدوره، وكان

أسرع من الأستاذ في التقاط الرسائل عن الأرض..

وكان من المفروض وهو يرفع الرسائل أن ينظر إلى عناوينها.. وكان هذا فضولاً منه طبعاً، ولكنه فضول لزمه في كل أدوار حياته..

ولفت نظره عنوان على مظروف منها، عنوان في أعلى المظروف، وكان عنوان إحدى شركات التأمين، وكان هذا كافياً عند ايفانس ليثير شكوكه من جديد..

وقرر على الأثر... ما يجب عليه عمله..

ولم يدر الأستاذ ميرودن كيف انتهى به الأمر إلى السير مع إيفانس في طريقه نحو البيت، ولا كيف دار الحديث بينهما حتى وصل إلى مسألة التأمين..

ولم يكن من الصعب على ايفانس أن يدير الموضوع ليجري حول الغرض الذي هو في سبيله، ولا كان الأستاذ ميرودن من الحذر والكتمان بحيث لا يتطوع بتقديم المعلومات التي بريدها رفيقه منه.. حتى لقد سأله رأيه في الشركة المذكورة وهو يقول:

– لقد أخطأت في شراء بعض الأسهم فخسرت، وكان من أثر هذا ان هانت وإرادتي السنوية ونقصت، فإذا حدث لي حادث ما، فإن زوجتي ستجد مشقة في الحياة بعدي، ولهذا قررت التأمين على حياتي، وسوف يساعد هذا التأمين على توفير الحياة الهانئة لها من بعدي..

فسأله ايفانس بحذر:

– ألم تعارض زوجتك في ذلك..؟ فإن هناك نساء يعتبرن مثل هذا العمل فألاً سيئة ويتوقعن شراً مستطيراً منه..

فقال الأستاذ باسماً:

– بالعكس.. إن زوجتي مرغريت امرأة واقعية، حتى أنها هي التي نصحتني بالتأمين على حياتي حتى لا أظل قلقاً مضطرباً من جراء الخسائر السيئة التي لحقت بي في المدة الأخيرة..

وكذلك حصل ايفانس على المعلومات التي كان يريدها..

وودع الأستاذ وهو يعض" على شفتيه، فقد تذكر شيئاً مماثلاً في القضية الماضية، و كيف أن المستر انتوني آمن على حياته لمصلحة زوجته قبل وفاته بعدة أسابيع..

وسأل نفسه بعد أن استقرت هذه الفكرة في رأسه، كيف يجب ان يعمل..؟

لم يكن من شأنه أن يقبض على مجرم وهو في سبيله لارتكاب جريمته..

وإنما كان همه في الوقت الحاضر أن يمنع وقوع هذه الجريمة..

وكان هذا أمراً صعباً بالتأكيد، لأنه كان عليه أن يسير بمنتهى الحذر والحيطة..

صرف نهاره يفكر ويبحث الأمر من جميع أطرافه..

وذهب في المساء إلى حفلة عامة، وأعطي يده إلى إحدى قارئات الغيب تقرأ له حظه، وتفسر له ما خفي عنه من أسرار حياته..

ولم يكن من المؤمنين بقارئات الكف، ولا من يدعون معرفة الغيب...

وقالت له قارئة الكف:

– سوف تقدم على أمر خطير في وقت قصير جداً يتعلق بموت أو حياة.. الرجل واحد..

وسألها فجأة:

– ما هذا الكلام ؟

وأجابته قارئة الكف:

– ان هناك قراراً سوف تتخذه، وعليك أن تكون حذراً فيه، حذراً جداً، فان ارتكبت خطأ صغيراً...

قال: نعم..

واهتزت قارئة الكف ملياً ثم مضت تقول:

– إني أنذرك.. وأحذرك من أن تخطئ.. فان فعلت.. فإني أشاهد النتيجة بادية ظاهرة أمامي.. وهي الموت..

فقال إيفانس وهو يقف في مكانه:

– إذا أخطأت، فان الموت سوف يكون النتيجة.. أليس الأمر كذلك:

– نعم..

– إذن فلا يجب ان أخطئ..

ومضى في سبيله بعد ان أعطى قارئة الكف شلناً..

وغادر خيمتها وهو يحدث نفسه، بأن عليه أن لا يرتكب خطأ أبدا، لأنه إذا فعل فسوف تذهب حياة إنسان ضحية لهذا الخطأ..

وأحس أنه وحيد في محاولته هذه.. وليس هناك من يساعده... وتطلع حوله فشاهد صديقه " هايدوك " يقف بعيداً منه..

فقال في نفسه:

– لا فائدة منه.. فإنه من هؤلاء الذين ينادون بعدم التدخل في شؤون الآخرين.

وفطن في هذه اللحظة إلى أن " هايدوك " كان يتحدث إلى امرأة.. وعرفها المفتش لما أمعن النظر بها.. فقد كانت مسز ميرودن.. و قبل أن يفطن لما هو في سبيله وقف في طريقها..

كانت مسز ميرودن امرأة جميلة.. هادئة الوجه جميلة العينين.. تتحدث بصوت هادئ نائم.. وقد ابتسمت في وجه ايفانس حين شاهدته..

هتف يقول:

– كنت أتوقع أن تكوني أنت يا مسز أنتوني.. أعني يا مسز ميرودن..

وحدة النظر في وجهها ليرى تأثير كلامه عليها.. وفتحت عيناها.. لا ترفع نظراتها عنه، ثم قالت:

– لقد كنت أبحث عن زوجي.. فهل رأيته في طريقك ؟ – لقد رأيته في الجهة الأخرى.. و سارا معاً في الطريق التي أشار إليها.. وأعجب

المفتش بهدوئها وتملكها لا عصابها.. وقال في نفسه:

– إنها امرأة خطرة بالتأكيد.. وامرأة عظيمة أيضاً..

ولكنه كان يحس بالقلق بتسلل إلى أعصابه، وإن كان راضية عن نفسه لما حاوله من تحذيرها، بأنه يعرف ويذكر قصتها القديمة.. وأنها والحالة هذه لن تقدم على محاولة جديدة بعد أن أدركت أن هناك من يعرف سرها وماضيها..

وكان عليه أيضا إنذار زوجها... المستر ميرودن.. إذا كان هذا بالإمكان.

والتقيا بالزوج بعد قليل.. ودعته زوجته للعودة إلى المنزل، فوافق، فالتفتت إلى المفتش تقول:

– إلا تأتي وتناول الشاي معنا يا مستر ايفانس ؟

وبدا له أنها تتحداه بدعوتها هذه، فوافق على الدعوة..

ومضوا يتحدثون ويتندرون.. وينعمون بدفء الشمس، وطراوة الهواء، الذي كان يغمر الأرض حولهم..

وكانت الخادمة قد خرجت لحضور الحفلة الشعبية التي شارك فيها جميع سكان القرية..

فمضت مسز ميرودن إلى غرفتها تخلع قبعتها ثم عادت لتجهز الشاي وتضع الغلاية على النار... وهي تقول:

– ان عندنا نوعاً خاصاً من الشاي الصيني، ونحن نشربه في أكواب خاصة على الطريقة الصينية..

ونظرت إلى الأكواب التي تناولتها من الرف القريب، ثم هتفت تقول، بعد أن بدلت بعضها، واختارت منها ثلاثة..:

– لقد استعملت هذه الأكواب ثانية يا جورج..

وقال الأستاذ معتذراً:

– أنا متأسف يا عزيزتي.. ولكني أجدها أنسب وأسهل تناولاً خصوصاً وأن الصحاف التي طلبتها لم تصل حتى الآن..

فقالت زوجته:

– سوف تسمم جميع سكان المنزل في يوم من الأيام.. فإن ماري الخادمة تجدها في المختبر فتعيدها إلى مكانها هنا، ثم لا تفكر في غسلها وتنظيفها.. إلا إذا رأت أثاراً ظاهرة عليها.. وقد رحت في الأسبوع الماضي تضع فيها بعض السموم، وهذا عمل خطير العواقب يا جورج..

فقال الأستاذ وقد ضاق صدره:

– ليس من حق "ماري" أن تأخذ شيئاً من المختبر.. ومن واجبها أن تترك كل شيء فيه في مكانه..

فقالت زوجته:

– ولكنا نترك في حالات كثيرة بعض أقداح الشاي الكبيرة هناك، فكيف تعلم الخادمة أنها قد استعملت لغير الشاي..؟ كن حكما منصفاً يا عزيزي..

ومضى الأستاذ لمختبره، يتحدث إلى نفسه، ووضعت مسز ميرودن

بعض الشاي على الماء الغالي، وأطفأت النار...

واستبدت الدهشة مفتش البوليس لما سمعه..

فهل أرادت مسز ميرودن من وراء هذا الحديث أن يسمع بإذنه، كيف أن الأستاذ يضع أحيانا بعض السم في الأقداح التي تستعمل للشاي، حتى إذا وقعت " الحادثة " كان مستعداً للإدلاء بشهادته، وتأكيد ما تقوله وتدعيه..

وابتسم في قرارة نفسه، وعد هذه المحاولة منها عملاً صبيانياً لأنه قبل أن يفعل ذلك...

وفجأة قطع أنفاسه، فقد شاهدها تضع الشاي في الأقداح الثلاثة.. ثم شاهدها تضع واحداً منها أمامه، وآخر أمامها، ووضعت الثالث على منضدة صغيرة بجانب الكرسي الذي يجلس عليه زوجها عادة.. وابتسمت ابتسامة خفيفة.... وفطن ايفانس للسر فجأة.. وقال في نفسه:

– يا لها من امرأة عظيمة.. من امرأة خطرة.. لم تنتظر، ولم تحاول الاستعداد.. بل أسرعت تنفذ خطتها هذا المساء نفسه.. وأمامه هو... كشاهد لما سمع ورأى..

وكانت جرأتها بالتأكيد مما يذهل ويبعث على الدهشة...

وكانت حركة بارعة.. لم يكن باستطاعته أن يبرهن على شيء، أو أن يدعي أنها الفاعلة.. وحني رأسه نحوها وقال:

– إني رجل غريب أحياناً، وأنعم بنزوات خاصة، فهل لك أن توافقي

على واحدة منها؟

ونظرت إليه بوجه هادئ، تنتظر منه أن يفصح عما يريده.. ولم يقل هو شيئاً..

تقدم نحو القدح الكبير الذي وضعته أمامها فوضعه أمام مقعد الأستاذ، وأخذ قدح الأستاذ فوضعه أمامها..

وقال:

– أريد أن أراك تشربين من هذا القدح..

وتلاقى النظران..

وبدت له وكأن الدم قد غار في وجهها..

ومدّت يدها وتناولت القدح، وكتم ايفانس أنفاسه..

وخشي أن يكون قد اخطأ وتسرع في أحكامه..

ورفعت القدح إلى شفتيها..

ثم ما لبثت أن اهتزت وألقت بما فيه في قالب للفخار مما يستعمل لحفظ النبات في البيوت..

وتنفس الصعداء، وعاد إلى مكانه مسترخياً..

وقالت: والآن..؟

وكان صوتها قد تبدل قليلاً.. وبدا له قوياً شديداً..

مليئاً بالتحدي..

وأجابها بهدوء:

– انت امرأة بارعة جداً.. ولا بد انك فهمت حركتي وأدركت غرضي.. فلا يجب أن تعودي مرة ثانية..

– نعم.. لقد فهمت غرضك وما تعنيه بكلامك !

وهز رأسه راضية عن نفسه..

فقد فهمت غرضه، وهي بالتأكيد امرأة ذكية وليس من مصلحتها أن تذهب إلى المشنقة..

ورفع قدحه إلى شفتيه وقال:

– سأشرب نخب حياتك الطويلة... وحياة زوجك..

وفجأة تجهم وجهه.. وجمد جسمه، فحاول أن يتحرك من مكانه فلم يفلح.. ووقع على الأرض وقد تقلص كل شيء فيه..

وحنت مسن ميرودن رأسها تنظر إليه..

وبدت ابتسامة خفيفة على وجهها..

ثم قالت تخاطبه بصوت هادئ هامس:

– لقد ارتكبت غلطة يا مستر ايفانس.. فاعتقدت أني في سبيلي لقتل زوجي.. لقد أخطأت وأخطأت كثيراً..

وجلست ملياً تنظر إلى الرجل الميت أمامها..

وكان الرجل الثالث الذي حاول الوقوف في طريقها.. ليمنعها من

الوصول إلى الرجل الذي تحبه..

ثم رفعت صوتها وقالت:

– جورج.. جورج.. تعال سريعاً.. فاني أخشى أن يكون المستر ايفا نس قد أحسب فجأة بحادثة فظيعة .